

شمس الائمة السرخسى و كتابه المبسوط

د. يوسف قليج

١ - أهمية بحث الفقه الاسلامى و اصوله فى عصرنا و فى المستقبل
 (أ) أهدى الفقه الاسلامى الى الانسانية قواعد الحقوق البديعة و
 أثبت صلاحية تطبيقها بتأمين أنظمة حقوقية متكاملة للدول المعمره
 طوال القرون ، الشاملة على الملايين ، من الملل المختلفة تحت راية
 واحدة راية التوحيد ، عبر العصور من عهد الرسول صلى الله عليه
 وسلم الى يومنا هذا . و الفقه الاسلامى يملك الفقهاء الأعلام الذين
 سيذكرون بالشكر و التقدير ما دام فكر العدالة حيا ، و يملك ايضا
 المدونات النادرة الامثال التى تملأ المكتبات فى انحاء العالم . مع
 هذه كلها قد لاقى هذه الحقوق المثالية ، بكل الاسف ، الاهمال من
 معتنقيها المسلمين انفسهم فكرا و عملا و تطبيقا ، فى العصور الاخيرة ،
 و تركت الى النسيان بين أوراق التاريخ ، المدفونة فى دهايز الماضى
 المظلمة .

(ب) فهذه المؤسسة الشرعية مؤسسة الحقوق المثالية يجب على
 العلماء المسلمين احيائها كمهمة اولى . . . و لكن المستشرقين قد
 سبقونا فى هذا المجال كثيرا فقدّموا كتب تراثنا الفقهية العتيقة الممتازة
 باحسن تحقيق و تعليق عليها ليسهل الاستفادة منها ، الى عالم العلم
 من جهة ، و من جهة اخرى نشروا الدراسات العلمية الحديثة بل
 المجلدات الضخمة حول الفقه الاسلامى من مختلف النواحي ، و
 نشاهد ايضا انهم أقاموا قسما للدراسات الفقهية الاسلامية فى
 الجامعات الغربية المختلفة و أسسوا معاهد الدراسات الاسلامية فيها

ولم يؤمنوا بشريعة الله تعالى الخالدة كما تؤمن .
 (ج) وفى يومنا هذا يحتاج الفقه الاسلامى الى دراسات علمية من
 نواح مختلفة اكثر من ذى قبل ، فهذه بعض البحوث التى تحتاج الى
 الدراسة اليوم :

- تحقيق أصالة هذه الحقوق و تطورها عبر التاريخ ،
- ادراك مؤسساتها الاصلية و فلسفتها ، و تطهيرها من
 البدع والخرافات ،
- اثبات ما اضافته الفقه الاسلامى الى الحقوق العالمى و
 ثقافتها ،
- مطابقة الفقه الاسلامى على العدل المثالى أكثر من
 الحقوق الاخرى ،
- اظهار قيمة الفقه الاسلامى من زاوية الحقوق المقارنة ،
- مدافعة حيوية الفقه الاسلامى و شموله على حلول كل
 مشكلة من المشاكل ،
- نقد المستشرقين فى أبحاثهم فى هذا المجال ،
- و فوق هذه كلها مناقشة مسألة :

«هل سيجد هذا النظام الشرعى الخالد مجالات التطبيق
 فى العالم فى المستقبل أم لا ؟»

٢ - «المبسوط» فى حركة التدوين الاسلامى :

(١) الكتابة عند المسلمين معروفة منذ بدء الوحي ، فكتاب الوحي
 كانوا يكتبون ما نزل الله عزوجل من آى القرآن الكريم ساعة نزولها ،
 و جمع القرآن الكريم فى مصحف فى خلافة أبى بكر رضى الله عنه و
 نشر الى العالم الاسلامى فى عهد عثمان بن عفان رضى الله عنه
 وحينئذ كان بعض الصحابة يكتب أحاديث النبى صلى الله عليه وسلم
 من نفسه كما فعل عبدالله بن عمرو أو بامر النبى صلى الله عليه وسلم

مثل كتابة الوحي و كتابة الرسائل، الى رؤساء الأعاجم ، أو بشأن آخر
مثل جمع زيد بن ثابت ما جمع من الفرائض و جمع عمرو بن حزم ما
جمع من أحكام الدية ، و ما الى ذلك .

و الخليفة الثانى عمر بن الخطاب رضى الله عنه أسس الدواوين
أول مرة فى تنظيم شؤون الدولة . مع هذه كلها يجدر بنا أن نقبل أن
حركة التدوين فى تاريخ الثقافة الاسلاميه قد بدأت فى القرن الثانى
للهجرة النبويه ، و أول تدوين فى الفقه الاسلامى ، على علمنا اليوم ،
هو كتاب المجموع لزيد بن على (١٢٠ هـ - ٧٣٧ م) . و دَوّن بعده
الفقهاء الأعلام و العلماء العظام تصانيف قيمة . و الائمة الاربعة كلهم
كانوا من اهل التدوين ، فالامام الاعظم أبو حنيفة دَوّن الفقه الاكبر فى
اصول الدين ، و المسند فى الحديث و الوصايا و غيرها من التصانيف
المنسوبة اليه ، ولا نعلم له اى تدوين فى الفقه ، و انتقل فقه الحنفية
الى ساحة التدوين أول مرة بعمل الامامين الجليلين صاحبى الامام أبى
حنيفة أبى يوسف (١٨٢ هـ - ٧٩٨ م) و محمد بن الحسن (١٨٩ هـ -
٨٠٤ م) رحمهما الله تعالى ، و الامام محمد بن الحسن أخصب من
أبى يوسف من حيث التدوين فى اصول المذهب .

الكتب الستة المشهورة بـ ,, ظاهر الرواية ,, للامام محمد بن
الحسن تلقى ما حوته المتأخرون من الحنفية بعده كقواعد اصلية
للمسائل الفرعية و اعتبر نجاح المدونات المتأخرة بوفاقها لهذا
المحتوى . فكتب الظاهر الرواية هى : الاصل ، و الزيادات ، و الجامع
الصغير ، و الجامع الكبير ، و السير الصغير ، و السير الكبير . و سنبحت
عنها عند ذكر المبسوط للسرخسى قريبا ان شاء الله تعالى .

ب) اعتنى المؤلفون بتسمية ما ألفوه من الكتب و الرسائل و
المقالات و الاشعار اعتناء كاعتنائهم اياه من حيث المحتوى و
الاسلوب و التأثير ، أو كاعتناء مسلم بتسمية اولاده . و بين اسماء

الكتب نشاهد بعضها تفيد اتساع ماحوى مسماه ك ,,المبسوط,, و ,,المحيط,, و ,,البحر,, وما الى ذلك . وعلى ما اخبرت المراجع كان لأبى يوسف كتاب باسم المبسوط ، فهو أول كتاب سمي ,,مبسوطا,, ، ولكن مبسوط محمد بن الحسن الشيبانى تقبله من اتى بعده بقبول حسن . و شرح هذا المبسوط جماعة من العلماء مثل ابى بكر خواهر زاده ، و شمس الائمة الحلوانى ، و روى ان الشافعى استحسنه و حفظه ، و اسلم حكيم من اهل الكتاب بسبب مطالعته هذا المبسوط فقال : ,,هذا كتاب محمد كم الاصغر فكيف كتاب محمدكم الاكبر .,, (١)

ج) بعض المؤلفين الذين صنّفوا كتباً باسم ,,المبسوط,, من الحنفيين بعد محمد بن الحسن هم :

أبو الليث السمرقندى نصر بن محمد (٣٧٥ هـ - ٩٨٥ م) ،

أبو القاسم السمرقندى ناصر الدين محمد بن يوسف المدينى

الحسينى (٥٥٦ هـ - ١١٦١ م) ،

شمس الائمة الحلوانى عبدالعزيز بن احمد (٤٤٨ هـ - ١٠٨٩ م)

أبو اليسر البزدوى محمد بن محمد صدر الاسلام .

أبو العسر البزدوى على بن محمد فخر الاسلام (٤٨٣ هـ - ١٠٨٩)

خواهرزاده محمد بن الحسين البخارى (٨٤٣ هـ - ١٠٩٠ م)

أبو شجاع (٥٠٠ هـ - ١١٠٦ م) (٢)

د) و من المؤلفين من المذاهب الفقهية الاخرى من صنف

,,المبسوط,, أبو جعفر حرملة بن يحيى الشافعى (٢٤٣ - د. م) و أبو

بكر احمد بن الحسين البيهقى (٤٥٨ هـ - ١٠٦٥ م) هما من الشافعية

و مبسوط البيهقى هذا هو من اعظم كتبه قدرا و ابسطها علما ، و أبو

عاصم محمد بن احمد العبادى الشافعى (٤٥٨ هـ - ١٠٦٥ م) ، و أبو

جعفر محمد بن الحسن الطوسى (٤٦٠ هـ - ١٠٦٧ م) كلهم من

الشافعية (٣) ، محمد بن محمد التونسى المعروف ب ,,ابن عرفة ,,

(٨٠٣ هـ - ١٤٠٠ م) الذي صنف المبسوط في تسعة اسفار من المالكية (٤)

هـ) وهناك تصانيف مختلفة باسم المبسوط في مختلف العلوم الاسلامية غير الفقه ، منها المبسوط و المضبوط لمحمد بن محمود بن احمد السمرقندى فى القراءات السبع . صنفه بالفارسية وجعله على ثلاثة كتب : الاول فى اصول القراءات ، و الثانى فى تشجيرها المسمى كتاب التسخير على طريق التشجير ، و الثالث فى اصول القراءات مجدولا (٥) ، و المبسوط فى الحديث للامام أبى عبدالله محمد بن اسماعيل البخارى (٢٥٦ هـ - ٨٧٠ م) (٦) ، و المبسوط فى اللغة لأبى على الحسن بن القاسم الرازى ، و كان ممن لازم الصاحب بن عباد الوزير (٧)

٣ - شمس الائمة السرخسى ابوبكر محمد بن احمد ابى سهل البخارى (٤٠٠ - ٤٨٣ هـ - ١٠٠٩ - ١٠٩٠ م) (٨)

هو الشيخ الامام الاجل الزاهد شمس الائمة ابوبكر محمد بن أحمد ابى سهل البخارى ، وهو من كبار علمائنا فى ماوراء النهر وممن تفخر الامة بامثاله . كان اماما علامة حجة متكلمنا مناظرا اصوليا مجتهدا و كان يتوقد ذكاء .

ولد بسرخس سنة اربعمائة هـ . (١٠٠٩ م .) و نشأ ببخارى وتعلم و اشتغل بالتدريس بها ، و صنف تصانيفه فى اوزجند مسجونا و صرف آخر عمره بفرغانة و مرغينان ، فعلى كل هذا فهو جدير بالذكر بين علماء عهد القراخانيين .

أخذ العلم ببخارى على شيخه المشهور شمس الائمة الحلوانى عبدالعزيز بن احمد بن نصر البخارى (٤٤٨ هـ . ١٠٥٦ م .) و لازمه و تفقه عليه حتى تخرج به و صار أوحد زمانه و خلفا بارعا لهذا العالم المشهور ، و لم يمنعه شىء عن الاشتغال بالعلم . يحكى أنه كان قد

ابتلى بداء الاسهال فى اثناء تحصيله العلم ببخارى و اضطر أن يخرج الى الخلاء فى كل يوم نحو أربعين مرة مضطرباً بهذا الداء ويذهب الى النهر بعد كل مرة ليتوضأ و كان الهواء شديد البرودة حتى يتجمد الحبر فى حجرته ، و كان يضم الحبر الى صدره مدة حتى ينحل من حرارة بدنه و بعد ذلك يداوم على كتابة ما حفظه ، و أخذ ايضا عن شيخ الاسلام ابى الحسن على بن محمد بن الحسين بن محمد السغدى (٤٦١ هـ - ١٠٦٨ م .) و ابى حفص عمر بن منصور البزاز ذهب الى بغداد و هو فى العاشرة من عمره مع أبيه بقصد التجارة وكانت له بضاعة وافرة مما حفظه من العلم مع وفور عقله و ذكائه . قيل له : حكى عن الشافعى أنه كان يحفظ ثلاثمائة كراس فقال حفظ الشافعى زكاة ما احفظ . (تاج التراجم ، ٣٩)

عدّه ابن كمال باشا من المجتهدين فى المسائل التى لا رواية فيها عن صاحب المذهب و اصحابه ، و المجتهدون فى هذه الدرجة يعنى فى الدرجة الثالثة لا يخالفون صاحب المذهب لافى الفروع ولا فى الاصول و انما يستنبطون الاحكام فى المسائل التى لا نص فيها فهو فى الدرجة العالية بعد صاحب المذهب و اصحابه .

حكى عنه أنه لما خرج من السجن كان امير البلد قد زوج أمهات اولاده من خدامه الأحرار فسأل العلماء الحاضرين عن ذلك فكلهم قال : نعم ما فعلت ، فقال شمس الائمة : أخطأت ، لأن تحت كل خادم حرة ، فكان هذا تزويج الامة على الحرة . فقال الامير : أعتقهن ، فجددوا العقد ، فسأل العلماء ، فكلهم قال : نعم ما فعلت فقال شمس الائمة : أخطأت ، لأن العدة تجب على امهات الاولاد بعد الاعتاق فكان تزويج المعتدة فى العدة و لا يجوز . و هذه الحادثة تشهد على فضل شمس الائمة و غزارة علمه و دقة ذكائه .

و ممن تفقه عليه برهان الائمة عبدالعزيز بن عمر بن مازة و شيخ الاسلام محمود بن عبدالعزيز الأوزجندی ، و الخطيب ابو محمد ركن الدين مسعود بن الحسن ، و ابو عمرو عثمان بن على بن محمد البيكندى ، و ابو بكر محمد بن ابراهيم الحصري ، و ابو حفص عمر بن حبيب جدّ صاحب الهداية لأمه .

وكان ايضا من اكثر الفقهاء تصنيفا . واستعمل فى تصانيفه كلها اللغة العربية وحدها . صنف كتابه صفة اشراط الساعة و مقامات القيامة فى عهد تلمذته على استاذة الحلوانى ، املاه اياه استاذة الحلوانى و رتبّه السرخسى . و صنف كتبه الاخرى كلها فى السجن ، و تصانيفه التى اطلعنا عليها هى :

• شرح مختصر الكافى للمروزى و هو المبسوط و سنتحدث عنه

قريبا

- شرح الزيادات للامام محمد بن الحسن الشيبانى ،
- شرح الجامع الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى ،
- شرح الجامع الصغير لمحمد بن الحسن الشيبانى ،
- شرح السير الكبير لمحمد بن الحسن الشيبانى ،

وهو قد طبع فى حيدر آباد سنة ١٣٣٥ ، ١٣٣٦ فى اربعة اجزاء و ترجمه محمد منيب عينتابى الى اللغة التركية باسم ,,ترجمة شرح سير الكبير,, و طبع فى استانبول سنة ١٢٤١ هـ . مجلدين ضخمين .

• شرح مختصر الطحاوى ،

• اصول الفقه و هذا ايضا طبع بتحقيق ابى الوفاء الافغانى فى القاهرة و طبعته الثانية فى بيروت سنة ١٣٨٢ هـ . ١٩٧٣ م فى مجلدين

فقد ابتلى السرخسى مع جلالة قدره و فضله بمحنة نادرة المثال وهى أنه حبس و سجن فى الجب بسبب كلمة نصح بها الخاقان كما

ذكر في المراجع التي وجدنا ترجمته فيها ، او بسبب اعتراضه على الخاقان في فرض الضرائب الثقيلة على الرعية ، على تحقيق بعض اهل العلم . و يشير المؤلف نفسه متوجعا مسجعا الى هذه المحنة في مختلف الامكنة في المبسوط وغيره من تصانيفه ، مثل قوله : ,, انتهى شرح الصفار من الفروع من الاستحسان الى البيوع ، بالمؤثر من المعاني مع الخبر المسموع ، باملاء الملتمس لرفع الباطل الموضوع المنفى لأجله المحصور الممنوع عن الاهل و الولد و الكتاب المجموع ، الطالب للفرج بالدعاء و الخشوع في ظلم الليالي بالبكاء و الدموع مقرونا بالصلاة على سيد اهل الجموع و على آله و اصحابه اهل التقى و الخضوع ,, (المبسوط ، ص : ١٠٨ من ج . : ١٢ : انظر ايضا : المبسوط ٢ : ١ ، ٥٩ : ٧ ، ٢٤١ : ٧ ، ٨٠ : ٨ ، ٨١ : ٨ ، ١٢٥ : ٨ ، ١٤٤ : ١٠) . و مدة حبسه في السجن يحتمل أن تكون اكثر من خمسين سنة و اطلق سراحه من السجن في تاريخ ٢٠ - ربيع الاول - ٤٨٠ هـ .

ذهب عقيب خروجه من السجن الى فرغانة فأنزله الامير الحسن بمنزله و التقى به الطلاب فأكمل الاملاء في دهليز الامير .
و توفي السرخسى سنة ثلاث و ثمانين و اربعمائة من الهجرة (١٠٩٠ م .) رحمه الله تعالى و اسكنه في اعلى جنانه .

٤ . المبسوط

أ) كتاب المبسوط هذا هو من أهم مراجع الفقه بل أوحدها و أكبر موسوعة في التشريع الاسلامي أهدها المسلمون الى الانسانية كلها .
صنّفه شمس الائمة السرخسى شرحا لمختصر الحاكم الشهيد محمد بن محمد بن أحمد المروزي (٣٣٤ هـ - ٩٤٥ م .) (٩)

(ب) وهكذا بين المؤلف سبب تأليفه المبسوط :

«و من فرغ نفسه لتصنيف ما فرعه ابو حنيفة رحمه الله (هو) محمد بن الحسن الشيباني رحمه الله . فانه جمع المبسوط لترغيب المتعلمين و التيسير عليهم ببسط الألفاظ و تكرار المسائل في الكتب ليحفظوها ، شاء و أو أبوا ، الى أن رأى الحاكم الشهيد ابو الفضل محمد بن احمد المروزي رحمه الله اعراضا من بعض المتعلمين عن قراءة المبسوط لبسط في الألفاظ و تكرار في المسائل فرأى الصواب في تأليف المختصر بذكر معاني كتب محمد بن الحسن رحمة الله المبسوطة فيه و حذف المكرر من مسائله ترغيبا للمقتسبين و نعم ما صنع .

ثم انى رأيت فى زمانى بعض الاعراض عن الفقه من الطالبين لأسباب : فمنها قصور الهمم لبعضهم حتى اكتفوا بالخلافيات من المسائل الطوال ، ومنها ترك النصيحة من بعض المدرسين بالتطويل عليهم بالنكات الطردية التى لافقه تحتها ، و منها تطويل بعض المتكلمين بذكر الفاظ الفلاسفة فى شرح معانى الفقه و خلط حدود كلامهم بها .

فرأيت الصواب فى تأليف شرح المختصر لا أزيد على المعنى المؤثر فى بيان كل مسألة اكتفاء بما هو المعتمد فى كل باب .
وقد انضم الى ذلك سؤال بعض الخواص من اصحابى زمن حبسى حين ساعدونى لأنسى أن أملى عليهم ذلك فأجبتهم اليه
(المبسوط ، ص : ٣ - ٤ من الجزء الاول) .

(ج) طريقته فى التأليف :

أشار المؤلف فى مقدمة المبسوط بايجاز الى فريضة طلب العلم و اهمية علم الفقه مستدلا ببعض من الآيات و الاحاديث و ذكر أن اول من فرغ فيه - اى الفقه - و الف و صنف هو سراج الامة ابو حنيفة و

عدّد بعض من اجتاز في تأسيس الفقه من اصحابه مبينا مزية كل منهم من ناحية اختصاصهم وذكر ايضا نبذة من خصوصيات ابي حنيفة و اقوال بعض كبار العلماء بعده في فضله كالامام الشافعي و ابن سريج من الشافعية ،

وبعد ان يّتن سبب تأليفه المبسوط فقد شرع بشرح المختصر فبدأ من كتاب الصلاة و اكمل تمام موضوعاته بعون الله تعالى و لطفه جلّ و علا ،

قسم موضوعاته الامهات على الكتب اولا ، ثم بوّب كل كتاب بابا بابا حسب ما يحتاج اليه وفصل بعض الابواب فصولا كما فعل من قبله من المؤلفين في تدوين الفقه ، وصادفنا في ترتيب بعض الموضوعات نوعا من الاختلاط كما في السجّدات و الاستحاضة ،

واذا بدأ بشرح موضوع كتاب من كتبه يستخرج قبل كل شيء معاني المصطلحات الاساسية له لغة و شرعا ، مستدلا بالآيات و الاحاديث و الآثار و الاشعار ، و احيانا يبين أهمية الموضوع بعد استخراج المعاني كما فعل في اول كتاب الصلاة مثلا ،

نرى ضبط بعض عباراته في نسخه المطبوعة بين القوسين المجليين احيانا بالنجمة هكذا * * و نظن أن هذه العبارات من اصل المختصر و استعملت نجمة ايضا لفصل فقرة عن التي تسبقها .

بعد ذكر عبارة بين القوسين يشرحها شرحا و افيا و يذكر الآراء و المذاهب و يناقش الاختلاف فيها و يدافع عن رأيه مع ايراد الأدلة النقلية و العقلية لرأيه و للآراء المختلفة مخالفا كان أو موافقا لرأيه و ترجيحه ،

و يذكر رأيه أ و أدلته بقوله : ،،ولنا، احيانا ، و احيانا يوجه نظره الى الاسئلة المقدرة بقوله : ،،و ان قيل ،، و يجيب عنها بلفظه ،،قلت ،، أو ،،قلنا، .

ويحيل احيانا الى بعض مصنفات من سبقوه مثل المجرد و شرح
المجرد لابن شجاع (ص : ٧ من ج : ١) ومختصر ابي موسى (ص :
٢١١ من ج : ٣)

كما ذكر احيانا بعض مآخذ الاحاديث والآثار و مواردھا مثل سنن ابي
داود وغيره .

وقيد السرخسى أنه بدأ بشرح كتاب الرضاع فى يوم الخميس
الثانى عشر من جمادى الاولى لسنة سبعة وسبعين و اربعمائة وذكر أن
الحاكم الشهيد شكّ فى نسبة كتاب الرضاع الى محمد بن الحسن
فانه لم يذكره فى المختصر (ص : ٢٨٧ من ج : ٣٠) .

«و آخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين» و صل اللهم على سيدنا
محمد و على آله و صحبه اجمعين : و الذين اتبعوهم باحسان الى يوم
الدين .

بعض المراجع التى استفدنا منها عند البحث

ابن قطلبوغا ، تاج التراجم ، نشر فلوكل ، لايزيق ، ١٨٦٢ أ
السرخسى ، المبسوط

» اصول الفقه ، بيروت ، ١٣٨٢

» شرح السير الكبير ، حيدر آباد ، ١٣٣٥ - ١٣٦

محمد منيب عينتابى ، ترجمه شرح سير كبير ، استانبول ، ١٢٤١

حميد الله ، السرخسى (دائرة المعارف الاسلامية باللغة التركية)

حاجى خليفه ، كشف الظنون ، استانبول ، ١٩٤١ ، ١٩٤٣

عبدالحى اللكنوى ، الفوائد البهية ، القاهرة ، ١٢٣٤

كارل بروكلمان ، تاريخ الادب العربى

فؤاد سزكين ، تاريخ الادب العربى

موسوعة الاسلام (باللغة التركية)

المراجع

- ١ - كشف الظنون ، الثاني - ١٥٨١ .
 - ٢ - المصدر السابق ، الثاني - ١٥٨٠ .
 - ٣ - المصدر السابق ، الثاني - ١٥٨١ .
 - ٤ - المصدر السابق ، الثاني ١٥٨١
 - ٥ - المصدر السابق ، الثاني ١٥٨٢ .
 - ٦ - المصدر السابق ، الثاني ١٥٨١ .
 - ٧ - المصدر السابق ، الثاني ١٥٨٢ .
 - ٨ - قدانتشر من هنا الى الاخر فى أول المجلد الاول من المبسوط المطبوع بنفقة دار الدعوة فى استانبول عام ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٢ - ١٩٨٣ م
 - ٩ - هو محمد بن محمد بن احمد بن عبدالله بن عبدالمجيد بن اسمعيل بن الحاكم الشهيد المروزي البلخي ولى القضاء ببخارى ثم ولاء الأمير صاحب خراسان وزارته وقتل شهيدا فى ربيع الاخر سنة ٣٣٤ هـ . ٩٤٥ م .
- سمع الحديث بمرؤ علي أبي رجاء محمد بن حمدويه و هو يروى عن احمد بن حنبل وغيره وسمع منه أئمة خراسان وحفاظها و صنف المختصر و المنتقى و الكافي وغيره و كتاب الكافي و المنتقى اصلان من اصول المذهب - اى الحنفية - بعد كتب محمد . . .
- قال السمعاني : هو عالم مرو و امام أصحاب أبي حنيفة فى عصره و كتبها صاحب خراسان . و قد كان لماً قلد قضاء بخارى يختلف الى الامير و يدرسه الفقه ، فلماً صار الى الوزارة قلده أزمة الامور كلها و كان يمتنع من اسم الوزارة .
- سمع بمرؤ علي محمد بن عصام بن سهيل و محمد بن حمدويه، و بالرى ابراهيم بن يوسف، و ببغداد علي الهيثم بن خلف ، و بالكوفة علي ابي العباس الجلي، و بمكة علي المفضل بن محمد، و بمصر علي احمد بن سليمان المصرى، و ببخارى علي محمد بن سعيد النوحا باذى و طبقتهم . وكان يدعو فى اعقاب صلواته يقول : ،اللهم ارزقنى الشهادة، الى أن سمع عشية الليلة التى قتل من غدها جلبة و صوت السلاح فقال : ما هذا . فقالوا : اهل العسكر قد اجتمعوا يلزمونك الذنب فيما حيل من ارزاقهم عنهم . فقال : اللهم غفر اثم دعا بالحلاق فحلق رأسه و اغتسل و لبس احسن الكفن و لم يزل طول الليل يصلى الى ان اصبح و قد اجتمعوا عليه و بعث السلطان اليهم عسكرا يمنهم فقاتلوهم و قتلوه و هو ساجد فى ربيع الاخر سنة ٣٣٤ هـ . وكان يحفظ ستين الفا من حديث رسول الله صلعم و تصانيفه تدل على كمال فضله كالكافي و المنتقى، و ذكر السمعاني و الفارى و غيرهما أن أبا عبدالله الحاكم الحافظ صاحب المستدرک قد تلمذ عليه و اخذ عنه (اللكوى ، الفوائد البهية ، ص : ١٨٥ - ١٨٦) .